قسم اللغة العربية ، تحبيك التاريخ في الرواية النسائية العراقية بعد ٢٠٠٣م

الاستاذ المساعد الدكتور :أوراد محمد كاظم
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الإنسانية

مريم جبل كاظم
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الإنسانية
Stud.mariam.jk@uobabylon.edu.iq

ملخص البحث

دونّت الرواية النسائية العراقية الصادرة ما بعد ٢٠٠٣م، لسرد مراحل تاريخية لم تخرج عن قضايا مستمدة جذورها من تاريخ العراق الحافل بالصراعات، بعّدها علامة سردية بارزة في تاريخ الرواية العراقية وظّفت فيها الكاتبة أساليب الكتابة الجديدة من لغة روائية تهدف إلى استنطاق التاريخ ، ومنه الشخصية التاريخية التي بدت واضحة ومهيمنة على نسيج الرواية باستيعابها شخصيات تاريخية مرجعية من عصور مختلفة تستعين بها في أحيان كثيرة ؛ لتقرأ الأحداث التاريخية، مجسدة انعكاسها على الناس الذين عاشوا في تلك الحقبة، من خلال أفعالهم وردودها تجاه الحادثة أو القضية التاريخية، ومسلطة الضوء على الدوافع الإنسانية . إن الروائية تستعين بشخصية تاريخية حقيقية بيد أنها تظل شخصية ثانوية، لأنها لا تمنح الرواية فرصة التوغل في عالمها النفسي وكشف مكنوناتها وبعث الحيوية فيها إلا بمقدار إضفائها طابع الصدق الفني على الرواية فحسب . فهي توظف لخلع سمة الواقعية التاريخية، وقد حاول البحث التركيز على هذه الناحية في الرواية ومتابعة مداها من خلال محورين: الشخصية التاريخية الحقيقية وتتفرع هذه الى تقسيمات أخرى، والشخصية التاريخية المتخيلة .

الكلمات المفتاحية :الشخصية، التحبيك، التاريخ

Abstract

Donut Iraqi women's novel of the post-2003, to list historical stages did not come out for derived its roots from the date of Iraq's record of conflict issues, as a sign of narrative prominent in the history of the Iraqi novel in which the author of new writing styles of narrative language of hired aimed at questioning the history, and from the historical character It seemed clear dominant fabric of the novel assimilated reference historical figures from different eras draw in the often; to read historical events, embodied reflection on the people who lived in that era, through their actions and their responses to the incident or the historical issue, and highlighting the humanitarian motives. The novelist utilize historical character of the fact, however, it remains a minor figure, because it does not give the novel a chance incursions into her world of psychologica He revealed Mknunadtha and energize them, but by the character imparted only artistic honesty on the novel. They are employed to remove the historical realism characteristic. The research has tried to focus on this aspect of the novel and the follow-up range through two axes: the true historical and personal branching out this Elly other divisions, and personal historical imagined.

Keywords: Figure, history, thabayk

- **التحبيك:**

التحبيك في أصل الأشتقاق اللغوي هو التوثيق، وقد حَبَّكتُ العقدة أي وثّقتُها (١)، وهو مأخوذ من مَفهومين هما : الحَبْكة (بالفتح) من الحَبْك وهو الشد، والحُبْكة (بالضم) وهي الحبل يُشدُّ به على الوسط (٢).

ويأخذ التحبيك في اللغة معنى التخطيط أيضاً (٣)، وقد ورد هذا المفهوم ترجمة لكلمة (plot (p بالمفهوم الأجنبي ويُقصد به الحَبْكة ويعني تسلسل الأحداث وترابطها في رواية أو مسرحية (٤).

وأول من أشار إلى مصطلح الحبكة هو أرسطو في كتابه ((فن الشعر)) حيث استخدم مصطلح (الحكاية، أو الخرافة ، أو الاسطورة) ويقصد به تنظيم الأحداث (٥)، ((وقد جعل أرسطو الحبكة أهم الأركان الستة التي تقوم عليها المأساة ، فهي المصطلح الأولي الذي تنطوي تفرعاته على عموم فن بناء التعاقب في الفن)) (٦).

وقد ورد تعريف الحبكة في المعجم الأدبي بأنها ((سـياق الأحداث والأعمال وترابطها

لتؤدي إلى خاتمة، وقد ترتكز الحبكة على تصادم الأهواء والمشاعر ، أو على أحداث خارجية)) (٧) .

ويذهب ابراهيم فتحي إلى تحديد مفهوم الحبكة على أنها : ((خطة أو رسم تخطيطي لتحقيق غرض معين، وتشير في الأدب إلى ترتيب الأحداث للوصول إلى تأثير مقصود والحبكة هي سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قوي بين الأضداد إلى ذروة وانفراج)) (٨).

يرى فورستر أن الحبكة هي التي تمنح الرواية جمالها الفني، فقد جعل الجمال مرتبطاً بالحبكة عندما ميزّ بين الحكاية والحبكة، وقد عرّف الحكاية على أنها مجموعة من الحوادث مرتبة ترتيباً زمنياً، والحبكة سلسلة من الحوادث يقع التأكيد فيها على الاسباب والنتائج أيضاً (٩).

ويقترب من هذا الشكلانيون الروس عندما ميزوا بين الحكاية أو المادة القصصية الأساسية، أي مجموعة الأحداث المروية في السرد، والحبكة في القصة كما تحكى بالفعل عن طريق ربط الأحداث معاً، ويرى فورستر أن الجمال في الرواية يرتبط بالحبكة وهذا يقترب من القوانين الجمالية التي يظهرها المبنى الحكائي (١٠).

---

١) تهذيب اللغة ، ابو منصور محمد بن احمد الأزهري ، حققه وقدّم له : عبد السلام هارون ، مراجعة : محمد علي النجار ، مصر الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٤م : مادة حبك .

٢) يُنظر : لسان العرب ، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ، حققه وعلق عليه : عامر أحمد حيدر ، مراجعة : عبد المنعم خليل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م : فصل الحاء .

٣) يُنظر : القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٣م : فصل الحاء ، ويُنظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي ، أعتنى به ووضح حواشيه : عبد المنعم خليل ابراهيم ، وكريم سيد محمد محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٢٧ / فصل الحاء مع الكاف .

٤) المورد الحديث ، قاموس أنكليزي – عربي ، منير البعلبكي ، ورمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٨م : مادة plot .

٥) يُنظر : فن الشعر ، ارسطو طاليس ، ترجمه وحقق نصوصه ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٥٣م : مقدمة المترجم ، ٤١ .

٦) موسوعة المصطلح النقدي ، إليزابث دبل ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م : مج٣/٤ .

٧) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م : ٩١ .

٨) معجم المصطلحات الأدبية ، ابراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحررين ، صفاقس ، د . ط ، ١٩٨٦م : ٥٣ .

٩) يُنظر : أركان القصة ، فورستر ، ترجمة : كمال عياد جاد ، مراجعة : حسن محمود ، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٠م : ١٠٥ .

والحبكة في الرواية ((هي بنية النص أي النظام الذي يجعل من الرواية بناءً متكاملاً ، فتسلسل الأحداث البسيط لا يصنع رواية ، بل يصنعها ترتيب الوقائع واستخلاص النتائج، فالحبكة حركة حيوية تحول مجموعة من الأحداث المتفرقة إلى حكاية واحدة متكاملة ضمن إطار حدث رئيسي)) [١١]، وهذه الأحداث تعمل الحبكة على أخضاعها ((لصراع ما وتعمل على شد أنتباه القارئ المتوهم إليها)) [١٢].

يقترن بمفهوم الحبكة مفاهيم أخرى إذ ((تتقاطع الحبكة في السردية مع مجموعة من المفاهيم تتدرج كلها في إطار المصطلحين المتضادين : الحكاية والقصة، إلا أن الحبكة ترتبط بالزمن لأن أهمية الحدث الفنية ليست بمضمونه بل بموقعه، أي بتوقيت ذكره ، تعطي للحدث معناه داخل سلسلة الأحداث)) [١٣].

اختلف المفهوم التقليدي للحبكة في الرواية الذي يعتمد العلاقة السببية بين الأحداث المتعاقبة، ويكون فيها الزمن منطقياً متسلسلاً، أما عن مفهوم الحبكة في الرواية الحديثة فإن الحاضر التخييلي هو الأكثر حضوراً فلم تعد الحبكة الروائية قائمة على السببية وإنما إنفتحت على أزمنة متداخلة تستغني عن الحركة ويتوقف الزمن من خلال تيار الوعي ومراوحة الزمن، فالزمن يخضع للتحوّل ، فلا يوجد ماضٍ مستقل وإنما يوجد حاضر متحول من الماضي ((فالماضي ليس مطلقاً وإنما نسبي، وهو لا يتقدم بمجرد التراكم ، وإنما يتحول شكله ومعناه باستمرار ، وأخيراً تنصب حياته كلها في نمط تتماسك فيه الأجزاء المنفصلة في علاقة حتمية تعطي معناها للحاضر)) [١٤]. إن التاريخ والرواية يشتركان في شكل السرد والزمن، من خلال ذلك يسعى كل من التاريخ والرواية إلى توضيح التجربة البشرية من خلال وضعها في صيغة سردية تُظهر الأحداث في إطار زمني وهذا ما يسميه (بول ريكور) بالتحبيك أو الحبكة .

ففي مجال التمييز بين السرد الحقيقي (التاريخ) والسرد التخييلي (الرواية أو الملحمة ...) يقول (بول ريكور) بوجود وحدة وظيفية بين الأشكال المتنوعة للسرد وهي الحبكة هي التي اتخذ منها دليلاً موجهاً في البحث سواء في نظام تاريخ المؤرخين، أو في نظام التخييل [١٥].

ويعود بول ريكور للحدث التاريخي ويربط بينه وبين الحبكة القصصية ، فالتاريخ يقوم على عمل شامل ولو بعد حين، ويمر بالمراحل الثلاث التي تقوم عليها علاقة السرد بالزمان : الزمن المعاش مباشرة بالممارسة، وزمن الحبكة، والعقدة، والتصوير الابداعي، وزمن تلّقي العمل الإبداعي، وعيشه من قبل القارئ، إذ يصوّر بول ريكور ((الحبكة بوصفها شكلاً من أشكال الحكم التأملي الذي يسن تركيباً من المتناظرات ويستخرج الكل من البداية والوسط والنهاية)) [١٦].

---

١٠) يُنظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ط ، ١٩٩٤م : ٩/١ .

١١) معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي – انكليزي – فرنسي ، لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ٧٢ .

١٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة ، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م : ٦٤ .

١٣) معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي – انكليزي – فرنسي ، ٧٢ .

١٤) الزمن والرواية ، مندولا ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : إحسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م : ١٥٢ .

١٥) يُنظر : من النص إلى الفعل – أبحاث التأويل ، بول ريكور ، ترجمة : محمد برادة ، وحسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠١م : ٩ .

١٦) الزمان والوجود والسرد – فلسفة بول ريكور ، ترجمة وتقديم : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٩م : ١٠٣ .

استخدم بول ريكور الحبكة ليعّبر عن الإتجاه السردي في الكتابة التاريخية، فالتاريخ الزمني لا يكون سرداً ، أو حكاية ولا يمتلك تلك البنية مالم تمنحه الحبكة ذلك ((فالتاريخ الزمني ليس سرداً، أو حكاية، عند ريكور، لأنه لا يمتلك ذلك النوع من البنية التي لا تمنحها إلا الحبكة)) [١٧].

فالخطاب التاريخي هو تمثيل لقدرة الإنسان على وضع المعنى في تجربة الزمن ، لأنَّ ((معنى الحياة الانسانية الواقعية، سواء كانت للأفراد أم للجماعات، هو معنى الحبكات، أو أشباه الحبكات، أو ما وراء الحبكات أو الحبكات الفاشلة التي تصبح بها الأحداث التي يشتمل عليها تلك الحيوات مظهر قصص تمتلك بداية، ووسطاً ونهاية ، فالحياة ذات المعنى هي الحياة التي تتوق إلى تماسك قصة ذات حبكة)) [١٨].

والحدث هو الذي يسهم في تتابع الحكاية وتطورها ، وذلك بأن يقود إلى عملية تحبيك، فالتواريخ تظهر بحسب طريقة تحبيكها، أي أن الطريقة التي يظهر بها الحدث التاريخي تؤثر على نوع الحبكة التي تتقلب بحسب نوع الحدث ، ومن خلال هذا يتجلى التاريخ في صيغة معينة قد تكون مأساوية (تراجيدية)، أو فكاهية (كوميدية)، أو رومانسية عفوية ، أو هجائية ساخرة ، أو ملحمية [١٩].

الشخصية التاريخية :

تعد الشخصية أحد العناصر المهمة التي يقوم عليها تحبيك التاريخ في الرواية، لكونها ترتبط مع مكونات السرد الأخرى في الرواية، وتتعدد أنواع الشخصية التاريخية في الرواية بحسب الوجهة التي يريدها الكاتب وبما يتواءم مع((طبيعة الأفكار والقضايا التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة)) .[٢٠]

تختلف هذه الشخصيات من رواية لأخرى فنجد توظيفاً لشخصيات فنية واقعية وشخصيات أخرى تاريخية متخيلة وأخرى قديمة معاصرة أو حديثة ، وتتفرع كل تلك الأنواع إلى تفرعّات أخرى ، فمنها شخصيات دينية ومنها دينية سياسية، وشخصيات ثقافية، وشخصيات حاكمة وأخرى تابعة للطبقة الحاكمة ، وقد ارتكزت الروايات النسائية العراقية على تقديم شخصيات بارزة في التاريخ، منها ماعرضت لها بصورة عابرة ، وجعلت منها وسيلة لإيصال فكرة لذهن المتلقي، وجعلها عاملة على إثارة ذهنه، ومنها ما وقفت عندها وقدّمت لها بصورة وافية عن طريق وصف ملامحها الخارجية، أو أقوالها ، أو أفعالها، ومن الشخصيات أيضاً شخصيات يوهم بواقعيتها وحقيقة وجودها أمام القارئ، وكان الغرض منها هو تعزيز لفكرة معينة داخل المتن، وخلق دور فاعل ومؤثر في الرواية، تستطيع الكاتبة من خلاله استدراج القارئ إلى ما تريده .

لقد كان لتلك الشخصيات التاريخية أدوارٌ في الأحداث الواقعية ومن ثم السردية ، ودلالات سوغّت لتلك الأحداث بشكل كبير من الروائيات من تحدثنّ عن شخصية واحدة وهذه النقطة اجتمعت فيها أكثر من رواية، لكن المعلومات المقدمة عن تلك الشخصية اختلفت بحسب اختلاف وجهة النظر، والأفكار التي تريد الرواية التعبير عنها، إذ يصعب وجود ملامح واحدة وتقديم صورة متكاملة في اكثر من رواية حول شخصية واحدة، فهي تختلف باختلاف الجانب الذي تُتناول

---

١٧) م ـ ن : ١٩٧ .

١٨) م ـ ن : ١٩٢ – ١٩٣ .

١٩) يُنظر : الهوية والسرد – دراسات في النظرية والنقد الثقافي ، نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ١١٦– ١١٧ .

٢٠) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٩٧م :١٢٠.

فيه، إلا أن الوجه العام الذي يطبع الشخصية يبقى هو البارز في كل رواية تتناولها، إن الأمر الذي بدا على الروايات وهي تتناول الشخصيات التاريخية يتوزع بين ثيمتين عرضنا لهما في الفصل الأول هما : ثيمة المستبد وثيمة المخلّص .

وثمّة وجه آخر يعرض له بصورة ثانوية، لكنه ذو قيمة مكثفة وهو الشخصيات الثقافية، مما يشهد لها التاريخ بحضورها المؤثر والفاعل في الجانبين الثقافي والفكري، وبالاحتكام إلى طبيعة المادة الروائية نستطيع تقسيم الشخصية التاريخية على :

أولاً _ الشخصية الحقيقية : ونقصد بها الشخصية التاريخية الواقعية الموظفّة في النص، والناتجة عن نسق فكري وثقافي تاريخي، التي تلجأ الرواية إلى توظيفها بالربط بين واقعيتها من جهة، وفنيتها في الرواية من جهة أخرى وتقسم على :

١.الشخصية السياسية :

تتميز الشخصية السياسية في الرواية بقوة رمزيتها، التي تستحضرها الرواية، لتوضح في ضوئها طبيعة العلاقة التي تربط بينها وبين واقعها من ناحية، وبين رؤاها الفنية والثقافية من ناحية أخرى، محتكمة لطبيعة الزمان والمكان والحدث .

توظف الشخصية السياسية في النص الروائي، لتعرف المتلقي على زمن الحدث التاريخي وطبيعة الظروف التي عايشتها الشخصية ومن نماذج هذا النوع ما نجده في رواية (الصمت حين يلهو) بتوظيف الروائية لشخصية (عبد الكريم قاسم) فقد حملت الشخصية صورة الآخر ، وكأنها صورة لتحقيق حلم الذات وتطلعاتها ونرى ذلك في النص الآتي: (سيرة عبد الكريم قاسم ؟ الكل متفق على معدنها الأصيل ...)) .[٢١]

تظهر الكاتبة تمسك شخصية (ساهر) في الرواية بالشخصية التاريخية، الذي يرى فيها الأصل النبيل ، بما تحمله من أفكار وسمات وصلات تجمعه بها، فالشّخصية الروائية متعلقة بما حولها من نماذج تاريخية، فـ (ساهر) وعن طريق حواره مع (رند) وما يحتويه ذلك الحوار من توتر يكشف عن انتماء (ساهر) لتلك الشخصية السياسية بوصفها تمثل معالم إنسانية ووطنية في ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م ، والنص يعبر عن الذات وعن الآخر (القائد الذي يمثل الذات) ، وقد أسهمت الكاتبة (خولة الرومي) بإبراز الدور الفاعل في تقديم هذا التصور الذي حققّته الشخصية التاريخية في نفوس الأفراد، وكشفت عن قربها في مجال الخوض في معترك تلك الأحداث، فكان تصوير (عبد الكريم قاسم) بمثابة المنقذ وكذلك جعلت منه رمزاً للحرية ، بوصفه نموذجاً للتغيير في الحكم السياسي في تاريخ العراق، وتحقيقه درساً للإنسانية ، بعمله على قلب عروش الحكومات المستبدة التي تحاول أن تحكم حكماً أبدياً، ومن خلال ثورته غيرّ نظرة شخصية(ساهر) للواقع ، ببداية عهد جديد فيه مسحة من الأمل وتحقيق شيء من العدالة ، وقد جاء حضور الشخصية التاريخية في النص بما يتلاءم مع طبيعة المادة السردية وما تكتب عنه، فيما يتعلق بتناولها للوقائع السياسية والقضايا الوطنية ، لذلك اعتمدت على بعض الشخصيات التاريخية التي تحقق قراءة نقدية للتاريخ من حيث الدلالة الاجتماعية المترتبة من الأحداث السياسية، فحضور هذه الشخصية في الرواية بوصفها تمثل بطلاً للسلام بكل ما أمكن ذلك الإنسان القائد السياسي العسكري، الذي أعطى مفهوماً آخر لحكم الشعوب بالحرية والمساواة، وتوظيفه كرمز من رموز الشخصيات العراقية المعاصرة، ونجد حضور هذه الشخصية في موضع آخر من الرواية، وذلك عندما يستذكر (أبو رند) وهو يتحاور مع أخيه

---

٢١) رواية الصمت حين يلهو : ١٨ .

خطاب الشخصية :((**سمعتُ خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم وهو يهدر في كنيسة مار يوسف .. كانت كلماتها وهي ترفض .. قالت لن نعبر المستحيل ...**)) .(٢٢)

فـ (أبو رند) الذي أحبَّ فتاةً في شبابه واعترف أمامها بحبه لها في كلية الزراعة ، بأنه يريد الزواج منها ، فرفضته بسبب الحواجز والموانع الكبيرة بينهما . ذهب إلى صفوف المتظاهرون وهو يستعيد كلماتها في ذهنه إلا ان هذا التصور الذي أعطته الرواية عن الشخصية التاريخية نجد فيه اختلاف بوجهات النظر ما بين رواية وأخرى فليست كل الروايات تتفق على نجاح الشخصية في تلك الثورة .

ومن الروايات التي تبدو فيها الشخصيات التاريخية السياسية بشكل لافت للنظر رواية (سيدات زحل) فنرى حضوراً لشخصيات عربية وعراقية وأخرى ذات أصول مغولية وعثمانية وبريطانية ومنها (المس بيل، و هولاكو، و تيمورلنك، و داود باشا، و مريم خانم)، ومنها شخصيات في التاريخ المعاصر، أو في العهد القديم متمثلة بـ (المعتصم، وأبي جعفر المنصور، و رشيد عالي الكيلاني، و صلاح الدين الأيوّبي)، وقد توزّعت هذه الشخصيات بين ثلاثة أزمنة، منها ما كان لها حضورٌ بارزٌ في تاريخ العراق القديم في زمن الدولة العباسية ، وحكم العثمانيين العراق ، والثالثة كانت من تاريخ العراق الحديث و المعاصر، فالروائية باستحضارها لتلك الشخصيات ، إنما يعني استرجاعها لمحطات تاريخية مرّ بها العراق ، وبتتبعها لتلك المحطات والشخصيات يعني تتبعها ومطالعتها الدمار الذي لحق ببلادها ، فالعراق على مدى اللحظات التاريخية التي عاشها، عانى التأخر والقهر مع كل شخصية حكمته أو خططت لبنائه أو طرحت منطلقاً لتأسيسه، إنما كانت تمارس نوعاً من التفكير الاستعماري ، وهي تنتظر تحقيق أهدافها ، فكل قوة كانت تسعى لإزالة غيرها لتحل محلها في القيادة، ومن خلال الكتابة قدّمت الروائية منظورها من خلال الدور الذي تمارسه في العملية الكتابية، فتاريخ العراق لا يمكن النظر إليه إلا من خلال ذلك الإرث التاريخي الفوضوي بصراع السياسات والقوى الداخلية المتعاقبة، وللتعبير عن رؤيتها أثارت الكاتبة أسئلة مهمة من تاريخ العراق القديم والحديث من خلال تقديم تلك الشخصيات، التي تُعلن الكاتبة في بعض الأحيان التوافق معها ممن وقفت بوجه التسلّط ، والبعض الآخر وجهّت الاتهام إليها وأدانتها بشكل مباشر أو غير مباشر، وهي تستنكر سياستها المتقلبة ، فالشخصيات تعد ركائز منظّرة للأحداث التاريخية وفاعلة في النصوص السردية، عندما تجعل القارئ يتفاعل مع الأحداث، ومن تلك الشخصيات التي وظفتّها (لطيفة الدليمي) ممن كان لها دور في تخطيط تاريخ العراق السياسي هي (المس بيل)*. وقفتْ الرواية مع هذه الشخصية وقفة وصفية من خلال الرؤية البصرية الخارجية ، فالساردة تخيلّت (مس بيل) عندما مرت من تحت مبنى السفارة البريطانية في بغداد على أحد جوانب نهر دجلة :((**تتراءى لي (مس جرترود بيل) صانعة الملوك تلك البريطانية التي حكمت الشرق من وراء غلالة الشغف والطموح الإمبراطوري، وضعت دولة في بغداد على أنقاض حكم بني عثمان ، أرى فرسها تسير خببا تحت فارستها النحيلة ونظرتها المتعجرفة، عقد ألمس بيل اللؤلؤي يعكس وهج النار وغلالة التول تنسدل من أطراف قبعتها على وجهها النحيل فعلت القسمات، فوق جوادٍ أشهب كان يرافقها صديقها التاجر البغدادي الثري الحاج ناجي الذي وهبها قصراً من قصوره، كان يؤنس وحشتها في مدينة تقوم من ظلمات العصور (...) هذه المرأة العجيبة التي نصّبت ملوك ورؤساء ووزارات ووزراء وأهملت عشاقاً يائسين سحرتهم فتنتها المتمنعّة وعبثت بالتاريخ بحجة عضويتها**

٢٢) رواية الصمت حين يلهو: ٢١

للجمعية الجغرافية الملكية التي تهيئ رجالاً من المخابرات ونساءهم وترسلهم إلى حيث تنهار إمبراطوريات عالم قديم فيفككون بقاياها و يلصقونها بصمغ المعاهدات ويدجنونها بالانتداب ، ويتقاسمون كنوزها وهم يقرعون الأنخاب)) .[٢٣]

نستطيع القول إن الكاتبة وصفت شخصية (مس بيل) بتفاصيل دقيقة من قوامها النحيل، ونظرتها المتعجرفة، وعقدها الذي يعكس وهجا من النار ، وقبعتها التي تشير إلى التسلّط والتولي، ووجهها النحيل، وغيرها من الأوصاف التي تعطي للمتلقي دلالات يتعرف من خلالها على طبيعة هذه الشخصية وطريقة تفكيرها، فالرواية تقدم الأوصاف الخارجية، لكنها لم تغفل الوصف لنفسية هذه الشخصية من الداخل، عندما تكشف عن عزيمتها المتصلة بقوة أكبر . أرادت أن تهيئ للقارئ إدراكه للمقصود والمراد، وبالإضافة للوقفة الوصفية الخارجية التي قدمتّها الروائية للشخصية التاريخية، كانت هناك وقفة داخلية تقرأ البعد الآخر لتلك الشخصية فـ (ألمس بيل) ما هي إلا جزء من مخطط استعماري سياسي مخادع على وفق جغرافية تخيلية تعبث بعقول من صدّقوها، ومن مصاديق هذا في الرواية النص التالي الذي تجعل منه الكاتبة سؤالا من (ألمس بيل) لحليفها الأمريكي الذي داهم بغداد عام ٢٠٠٣م ، والمقصود (جورج بوش) :**((ماذا تقولين يامس بيل لحليفك الأمريكي الذي دمرّ الحقب والعصور والحضارات ؟ ماذا ستقولين له وأنت ترين مؤلفاتكِ في علوم اللغة والأنساب والرحلات والكشوف التاريخية قد أحرقت مع ما احترق من مكتبات بغداد ؟؟))**.[٢٤]

فتلك هي السياسة الاستشراقية التي حاولت بريطانيا تطبيقها من خلال (مس بيل) من أجل السيطرة على حيز كبير من الشرق وتحديداً (العراق) في النص السردي، كمفتاح قوة للإمبراطورية البريطانية، و يعد هذا جزءاً من عملية تسهيل الاحتلال للبلاد، ونرى حدوث مفارقة في الزمن داخل النص السردي مابين زمن القصة وزمن الخطاب عن طريق التخيل الذي فاق فيه زمن الخطاب زمن القصة الواقعي، والذي تهدف من خلاله الكاتبة تقديم رؤية ذات دلالة رامزة للقارئ ومن الشخصيات الأخرى التي تناولتها الكاتبة هي شخصية (هولاكو وتيمورلنك) وكلاهما من المغول الذين احتلوا بغداد، فقد احتل (هولاكو) بغداد في زمن المستعصم بالله في عام ١٢٥٨م ، والنص التالي يُبين ذلك :**((نزل هولاكو على أبوابها وفي يوم وليلة بنى المغول بالجانب الشرقي سوراً عالياً وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور...))** .[٢٥]

وتمثل ما بعده احتلال (تيمورلنك) العراق ، وما يهمنا هو توظيف الكاتبة لهاتين الشخصيتين في الرواية عن طريق رؤية الشخصية الروائية (الشيخ قيدار) من خلال الجمع بين حقائق تاريخية مريرة وبين التخييل للتاريخ ، لرسم معالم تلك الحقبة الزمنية، وعلى الرغم من وجود فاصلة زمنية بين احتلال كل من (هولاكو وتيمورلنك) فالأخير قد جاء بعد احتلال (هولاكو) بمدة من الزمن ، فإن الذات الأنثوية وعبر الكتابة سعت إلى المزج مابين المرحلتين متجاوزة الفصل بينهما، لأنها رأت في سياستهما شيئاً واحداً ، وأرادت أن تتحدث عن تلك اللحظات الفجائعية عن طريق استخدام إستراتيجية العجائبية ، لتصور هاتين الشخصيتين فهما نموذجان لاستلاب إنساني واجتماعي وتاريخي بحق هذا البلد :

((يرى الشيخ قيدار بغداد قديم حياتها بين نار ونار ، ومذبحة وطاعون حتى يختم هولاكو عمرانها ببرج من جماجم ويقيم تيمورلنك مئذنة من رؤوس أهلها ويطلب من كل مغولي أن يأتي بعشرة رؤوس لرجال بغداديين ولما لم يعثروا على المزيد من الذكور فقد عمدوا إلى جز رؤوس النساء وجعلوا رؤوسهن في عداد رؤوس الرجال)) .[٢٦]

---

٢٣) رواية سيدات زحل : ٩٩ – ١٠٠ .

*) (المس بيل) إحدى الشخصيات البريطانية التي كان لها يد في التدخل بالشأن العراقي .

٢٤) رواية سيدات زحل : ١٠١ .

٢٥) رواية سيدات زحل : ٢١٣ .

٢٦) م.ن :٢٥٠.

اختزلت الكاتبة المدة الزمنية بين مدد احتلال العراق بين هاتين الشخصيتين وركزّت على السمة الأساسية بتقديم الشخصيتين بصورة تأثر في الذات المتلقية وتلفت انتباهها للحدث التاريخي على وفق آلية العجائبي في النص السردي . من بناء بغداد من الجماجم من قبل (هولاكو) ، وإقامة مئذنة من رؤوس الرجال، ولما نفذت تلك الرؤوس من الذكور أخذوا بقطع رؤوس النساء ليقيموا المئذنة وهذا تجّسيد شخصية (تيمورلنك) فحاولت الكاتبة الإيهام بالزمن أيضاً، فالقارئ يعتقد أن احتلال (هولاكو) للعراق هو نفسه الذي احتل فيه (تيمورلنك)، ذلك أن الكاتبة أرادت ((إيهام القارئ بإحالته إلى مرجع تاريخي خارج النص الروائي في حين يعدهما مفهومي للنص ملفوظين يميلان إلى دلالتهما النصية ليس غير ...)) .[٢٧]

وتستذكر الكاتبة شخصيات سياسية أخرى منها (داود باشا) الوالي العثماني على بغداد وتفردت بالحديث عنه في الفصل السادس من الرواية تحت عنوان (كتاب زبيدة) وذلك عندما جعلت منه وكذلك تطرّقت الرواية إلى شخصيات في العهد الحديث متمثلة بـ (بريمر) .

ومن الشخصيات التي شهدها التاريخ السياسي في العراق هي شخصية (صدام حسين) والذي بدأت مع حكمه رحلة الموت والاضطهاد الإنساني، الذي كان يمارس سلطة اعتدائية في فرض زعامته ، سلطة استغلالية وعمياء ، تقابل كل شيء بالقمع إذا ما رأت فيه ما يؤدي إلى الضرر بسيادتها ، وكانت هذه السلطة ترغم الناس على تمجيدها بغض النظر عن أي شيء سواء أكان التمجيد خوفاً أم رغبة فهي تفرض إرادتها بشكل أو بآخر لدرجة لا تخفى عليها أية أسرار، فأخذت تسيّر البشر تحت سلطتها الغيبية وتؤثر في الحياة اليومية بوجوهها المتعددة، ونجد هذه الشخصية في كثير من الأعمال الروائية، وقد جاء توظيفها نتيجة لدورها الفاعل في الحياة الواقعية وسيطرتها المفروضة على مدى أعوام بشكل تعدّت فيه على جميع الحقوق الإنسانية وقد وثقت لسياسة هذه الشخصية الكاتبة (رسمية محيبس) في روايتها (كاهنات معبد أور) فصوّرت حياة الأفراد المسالمين الذين لم يقترفوا أي ذنب، وكيفية ملاحقة السلطة لهم، وهنا تسرد لنا عن شخصية (مهند) ، الذي يمارس مهنته كمعلم في إحدى المدارس، وقد اعتقلته السلطة بحجة وجود مخربين يعملون ضد النظام يبحثون عنهم ، و هو من ضمن من يشكوّن بهم، وقد تركت الكاتبة لصوت الشخصية الروائية (مهند) التحدّث عن تعذيب السلطة ، ومعاناته ومن معه تعرضوّا للتوقيف في قاعة مظلمة :

((نريد منكم فقط أن ترشدونا إلى أماكن تواجد المخربين هؤلاء المجرمين الذين حاولوا العبث بالنظام وإسقاط السلطة ، من يتكلم منكم ويرشدنا إلى أي واحد منهم فله الأمان ، وسيعود إلى أهله سالماً وله مكافأة من السيد الرئيس كان مراوغاً في الكلام حتى أن بعض منا صدّقوا كلامه ورفعوا أيديهم وقد أخذهم من بيننا ولم نعد نعرف عنهم شيئاً حتى هذه اللحظة)) .[٢٨]

ذكرت الذات الساردة (مهند) اسم الضابط (صدام كامل) المتوافق مع اسم الرئيس الحاكم، الذي لم يُذكر في النص، وكأن إخفاء اسم الرئيس يُحقق الهدف من النص الذي تريده الكاتبة ، و يُكشف من خلاله عن آيديولوجية السلطة التي تشعر بها الناس، والنص يحمل نظرتين : الأولى هي أطلاق اسم (صدام كامل) على شخصية الضابط يدل على محور نسخ متكررة لصدّام الرئيس، وهذا يلفت إلى قضية واقعية أرادت الكاتبة استدراج القارئ نحوها ، وهي أطلاق كثير من الناس على أبنائهم اسم (صدام)، لأنهم محكومون بالخوف والقمع، والرواية عملت على تعرية ذلك الواقع ومقاومة هذه

---

٢٧) الرواية العربية – البناء والرؤيا – مقاربات نقدية ، سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠٣م : ١٠٢.

٢٨) رواية كاهنات معبد أور:٨٠ .

الشخصية الطاغية من خلال كشفها عن ممارساتها، أما النظرة الثانية : فهي أطلاق لفظة (السيد الرئيس) وعدم إظهار الاسم، دليل على مدى المحاولات التي بذلتها تلك السلطة وهي ترغم الشعب على ترديد هذه الكلمة، فحيثما وجدت هذه الكلمة، فإنها تعني بكل ما تحمله (صدام حسين)، فهذه الشخصية السياسية التاريخية وظفت من قبل الكاتبة لتكشف عن نظامها الوحشي، وتظهر ممارساتها المستبدة من خلال وصف (مهند) لمعاناته عندما أخذه الأمن يقول :

((في الليل ندخل قاعة كبيرة مظلمة ولشدة الزحام لوجود ذلك العدد الهائل من الموقوفين بحيث تجلس القرفصاء ولا قدرة لك على تحريك جسمك ، بل تصطدم بأجسام الآخرين)) .[٢٩]

يكشف النص عن استهداف السلطة والمتمثلة بـ (صدام حسين) للمثقفين من الناس ومن هؤلاء (مهند) ، التي تهدف السلطة من خلالهم استمالة أفكارهم نحو مخططاتها، ومن يرفض فمصيره (القتل، و السجن، و التعذيب) إن الوصف لحالة الموقوفين التي قدمها النص دليل على بشاعة ممارساتها، ودورها الفاعل والمؤثر في حياة المجتمع من الناحية السلبية والنص التالي يوّضح ذلك :

((ألم التعذيب الذي كثيراً ما أدى إلى الهلاك المحتوم ولكن ما بالأمر حيلة .. في الليل يهجم رجال الحرس الجمهوري كحيوانات مفترسة ويبدأ فصل آخر من التعذيب الوحشي النفسي والجسدي ، غلاظ قساة يحملون هراوات ثقيلة ويعلنون أن السهرة ستبدأ الآن ويا لها من سهرة عنيفة)) .[٣٠]

إن النص بما صوّره من تفاصيل ووصف لرجال الأمن بأنهم كالحيوانات المفترسة ، فإنه يُدل القارئ على صورة القمع المتجسدة بالحاكم المستبد، ورجال الأمن كانوا محوراً لسياسته، التي طبقوّها لدرجة لا يُكاد تحملها من شدة القسوة، والكاتبة جعلت القمع طابعاً لتلك الشخصية، فعكس موضوعها واقعاً معيشاً ستبقى صورته تنعكس في تاريخ العراق .

إذا كانت (رسمية محيبس) في النص السابق قد أشارت إلى مرحلة حكم تلك الشخصية، فإن رواية (هروب الموناليزا) وظفت لمرحلة زوال هذه الشخصية من الحكم في أحد المواضيع من روايتها، لكنها عاشت طغياناً آخر من استبداد هذه السلطة المرعبة ، عندما رأت الموت متجسداً في مستوى جماعي، فأولئك الذين أصبحوا من صيرورة الماضي وافتقدهم أهلوهم، هاهم اليوم يشهدون على الماضي وهم يرقدون بملابسهم وأحذيتهم في حفر جماعية، والرواية تصوّر مرحلة زوال حكمه والعثور على تلك الجثث، موظفّة ذلك من خلال سرد شخصية (موناليزا) عن طريق الحوار مابين (سومر) وزوجها :

((قال هل رأيت ماذا حل بالعراقيين ؟ إنني أعجب الآن وأنا أرى في التلفزيون آلاف الجثث من الرجال والنساء دفنوا بملابسهم وأحذيتهم حتى الأطفال ، هل رأيت جثث الأمهات اللواتي يحتضنَ أطفالهن ؟ تلك الهياكل الصغيرة كم هي مؤلمة، كم كان نظام صدام مرعباً . أظن أنه تجاوز كل طغاة التاريخ ، حتى هتلر ...)) .[٣١]

فالنص بهذا الوصف الذي يقدمه عن الشخصية التاريخية (صدام حسين) يبرز ما بلَغتَه هذه الذات من عنف تفوق حتى على أكبر طغاة التاريخ ، حتى أن (هتلر) لم يبلغ ما وصل إليه من طغيان وقهر وتجبّر بحق الشعب العراقي،

---

٢٩) رواية كاهنات معبد أور: ٨١ .

٣٠) م. ن : ٨١ – ٨٢ .

٣١) رواية هروب الموناليزا : ١٧٤.

فقد جعل من البشر ركاماً من العظام ، وأفجع الأمهات بأبنائهن وذهبنَ يُقبلن عظامهم، ويحتضننها وهن يجمعنَ ما تبقى من أجسادهم في أكياس، والآباء أيضاً يقبّلون الجماجم ، ويشاركون الأمهات هذه الفجيعة التاريخية .(٣٢)

٢.الشخصية السياسية الدينية :

إن واقع العراق السياسي الفوضوي والمضطرب أسس تحولّات داخل ذوات الشخصيات نفسها، فنجد بعضها شخصيات تاريخية سياسية اتخذت من الدين وسيلة للاختباء خلفه بما يخدم مصالحها، لأن الدين يؤدي دوراً مهماً في الحياة السياسية لتلك الشخصيات، والبعض من الشخصيات التاريخية الدينية دفعها الحكّام السياسيون وانشغالهم عن حقوق الشعب إلى قيادة ذلك الشعب نحو الثورة وتحولّت هذه الرموز الدينية فيما بعد إلى قدوة دينية سياسية .

ومن نماذج الشخصيات السياسية الدينية الفاعلة والمؤثرة على المستويين الإسلامي والسياسي التاريخيين التي قادت الشعب نحو الثورة ما نجده في رواية (نصف جسد) من توظيف لشخصية قادت الشعب متمثلة بـ(الخميني)(*) ، وقد استدعت الرواية هذه الشخصية في ضوء استعادة الحدث التاريخي المتمثل بالحرب العراقية الإيرانية بعّد شخصية(الخميني) لها دور حقيقي وواقعي في تلك المدة من الزمن :(**(خميني والثورة في إيران والمواجهة مع نظام جديد داخل الشرق بقوة .. والآلاف يدفعون الثمن من أرواحهم ...))** .(٣٣)

إن المحمول الدلالي الذي أرادته الرواية من ذكر الاسم لتلك الشخصية هو المستهدف أكثر من الطبيعة التاريخية للشخصية، أي أنها أرادت تقديم الأحداث التاريخية من خلال استدعاء ذلك الاسم والرمز السياسي والديني، وإذا كانت الشخصية تمثل فاعلاً حقيقياً في الحدث التاريخي الواقعي ، فإنها لم تكن كذلك في النص الروائي، وإنما جاءت على سبيل التوثيق التاريخي للحدث .

وتناولت (لطفية الدليمي) في روايتها (سيدات زحل) الشخصية السياسية التي تتخذ من الدين ذريعة في سبيل تعزيز نظامها السياسي، نظام الهيمنة والاستبداد مستدعية نموذجاً لهذه الشخصية تحملها شخصية (أبو جعفر المنصور)، وتروي كيف وطدّ المنصور ملكه وقضى على سابقيه عن طريق القتل وسفك الدماء من أجل الاستيلاء على بغداد والنص التالي يكشف عن وحشية هذه السلطة فالمنصور اشتهى بغداد وأراد أن ينتزعها :(**(استخلصها المنصور من أحلام سابقيه وهو موقن من كونها في أعماق رغبته ، قال لندمائه بغداد عروس شهوتي وأنثى خلافتي وتعويذة سلطاني .. ثم خرج إليها ولبث يروح ويجئ على فرسه مستوحداً في بريتها ، يتأمل المدى ويرى مالا يرونه من طوئها مرائيها وعصورها ، حتى ظن الذين حوله أنه يُسجن عشقاً بفكرتها ..))** .(٣٤)

تصوّر الرواية هذه الشخصية في إطار تمسكها بالمكان ليس حباً به بل حباً بملكيته، وهو تصوير بخلاف ما اعتدنا عليه من إظهار هذه الشخصية التاريخية على أنها خليفة للمسلمين في تلك الحقبة الزمنية، فالمنصور الذي ادّعى هو وغيره من العباسيين استبداد الحكم الأموي، ليظفروا بمقاليد الحكم، هاهو يظهر بنسخة مكررة لهم وهذا ما تقر به الرواية، منفرداً في استبداده وتسلّطه، وهو نظير لحكم من سبقوه في استخدام القوة من أجل موالاة الناس له، فقد جعل من

---

٣٢) ينظر : م .ن : ١٧٤ .

٣٣) رواية نصف جسد : ٨٤ .

*) (خميني) : شخصية قادت الشعب الإيراني ضد حكم الشاه في الثورة الإسلامية .

٣٤) رواية سيدات زحل :٢٤١.

بغداد مدينة له في مخيلته وسمّاها (دار السلام) :((**كان كمثل جميع المستبدين قد اخترع مدينة عظمى من رغباته الملكية وعنفه الدموي، ورآها في استدارة خطتها وأسوارها وخنادقها وقصورها ومساجدها وبروجها وأسواقها ورياضها وسجونها .. وجدها مكتملة في رؤياه وفي صفة ما يريده لملكه ولم ينتظر رأي أحد ممن يوالونه أو يستشيرون علي...**)) .[٣٥]

فـ (المنصور) كعادة الحكّام والمستبدين كان قد خطط للحصول على مدينته في مخيلّته ولم يحتجْ رأي شخص، فقط وصفها لمواليه (الحجاج بن أرطأة) وأمره برسم خطتها، فالرواية استدعت الشخصية التاريخية هنا لتكشف عن نسق الاستبداد المضمر تحت نسق الخلافة التي تأخذ مفهوماً دينياً من أن المنصور هو الخليفة، لكن الخلافة وسط هذا الاستبداد مجرد غطاء يختبئ من خلفه ، لأنه كان يريد انتزاع الملكية من الأمويين وهذا تجّسد في النص السابق: ((**كان كمثل جميع المستبدين قد اخترع مدينة عظمى من رغباته الملكية...**)) .

وتكشف رواية (سيدات زحل) عن أن الاستبداد يكمّل بعضه بعضاً، وتبلغ الحرب ذروتها عندما يصل الأمر إلى قتل الأخ لأخيه من أجل الاستيلاء على كرسي السلطة ، وقد تجّسد هذا بشخصيتين تاريخيتين هما : (الأمين والمأمون) ، وقد تحدثت الرواية عن هذا من خلال شخصية (الشيخ قيدار) بأنّ لكل منهما إمارة خاصة يتوليان الحكم عليها ويحدد الزمن بعد خمسين عاماً، وترجع المحن نفسها إلى بغداد بتصدي هذين النموذجين للحكم ، فيظهر الفتك وتصبح المدينة رماداً لإتباع هذه السلطة سبل القتل والفتك وسفك الدماء ، ودجلة يفور والقبب تنهار في القصور الذهبية، وبعد مائتي عام تُكتمل دراما العنف بتولي (المقتدر بالله) زمام الحكم وهو إلى جانب هذا مشغول بالسكر وقيانه وجواريه في الملاهي ودوران الخمر على الندماء والطبل والغناء، مع ذلك يصدر أوامره بالقتل والاقتصاص من الناس ، فقد أمر بقتل (الحلاج) وصلبه . بعد ذلك تكمل شخصية (الشيخ قيدار) الغائبة رؤياها لتاريخ بغداد بتوالي المستبدين عليها ومن ذلك قتل (أبي حنيفة النعمان) بعد مجئ المنصور إلى الحكم، وأمر الحجاج بتخطيط بغداد كما رأينا سابقاً، فما كان منه إلا أن يخطها بالرماد ، لتظهر بأول صورة لها، والمنصور يشاهد تلك الحقيقة وهو واقف أمام قصر باب الذهب ،[٣٦] ومن بعد هؤلاء كان (المستعصم بالله) على الخلافة في الوقت الذي أغار فيه (هولاكو) على بغداد، ولم تختلف سياسته عمَّن جاء قبله بشيء، فقد كان منشغلاً بملذاته أيضاً وادخار الثروات والأموال .[٣٧]

استطاعت الرواية من خلال شخصية (الشيخ قيدار) بمواقفها وآرائها وتطلعاتها الفكرية إثبات الرؤية الآيديولوجية التي أسكنتها الروائية عالمها التخيلي، وكان مظهرها التاريخي، بأن الخلفاء العباسيين كانوا يهدفون إلى ما هو مادي ، لأنهم لم ينهضوا من أجل دولة أو فرد، وإنما من أجل مصالحهم وأطماعهم، وقد عمدت إلى توظيف ذلك من خلال إضافة بعض التصّرفات والمقولات للشخصيات وإن لم تصدر عنها في الواقع، فهي ترى بان تلك الإضافات تليق بشخوص كهذه، وبذلك تحقّق مبتغاها في التعبير عن المضمر والمسكوت عنه تاريخياً، وبذلك يظهر موقفها اتجاه الواقع .

٣.الشخصية الدينية:

وَظِفت الشخصيات الدينية داخل النصوص الروائية، وكان الهدف من توظيفها لأجل استذكار حدث تاريخي معين، أو تحديد مدة زمنية مهمة، والبعض منها كان من وراء استحضاره قصديه معينة، لأن الحاضر يمثل امتداداً

---

٣٥) م.ن : ٢٤٢ .

٣٦) ينظر : رواية سيدات زحل: ٢٤١ – ٢٤٢ – ٢٤٥ .

٣٧) ينظر : م.ن : ٢١٤.

للماضي، أو من خلال الماضي تسعى الروائية لإدانة الحاضر، ترسيخاً لتلك الأحداث أولاً، وأفعال الشخصيات الدينية ودورها ثانياً، اللذين لهما من الأهمية التاريخية مالا يمكن إغفاله في النص السردي إن الشخصيات الدينية تُعد من الشخصيات المؤثرة في مسار التاريخ، التي استخدمت السلطات السياسية الحاكمة ضدها أقسى أنواع العذاب والعنف، سواء أكان ذلك بالسجن أم بالقتل، وتحتل هذه الشخصيات مكانة كبيرة في الوسط العراقي، فلا نكاد اليوم نرى أي مكان يخلو من تلك الرموز المقدسة، فهي باتت جزءاً من حياة الفرد لاسيما في أوضاع متأزمة كهذه، لذلك من البديهي أن نرى الروائيات يوظفن تلك الشخصيات وبالإضافة لهذا السبب هناك أسباب أخرى، منها الكشف عن زيف السلطة، أو الاحتفاظ بتلك القداسة التي تحملها الشخصية الدينية، من هذا نتوصل إلى ارتباط الجانب الديني بالجانب السياسي فيما يتعلق بطبيعة الشخصية الدينية التي تواجه استبداد السلطة فرضاً أم بالإرادة، ذلك أن السلطة تتخذ من الدين أحد طريقين : أما التسّتر به، أو اعتباره محرضاً للناس ضد سياستها، وهذا موظف كثيراً في الرواية فيما يتعلق بتاريخ العراق القديم و الحديث، بممارسة السلطات الحاكمة أبشع طرق التعسف ضد من له أي معتقد ديني .

ومن الملاحظ في بعض الروايات أن حضور الشخصية الدينية مرتبط بالمكان المتعلق بالشخصية ومن ذلك رواية(الصمت حين يلهو) حيث توظّف الروائية شخصية دينية هي شخصية السيدة (زينب) عليها السلام، وتوظيفها كان من خلال رؤية الكاتبة لقضية الطف حيث تعم الفوضى والحرب وغياب الأبناء بسبب تلك الحرب عن أهاليهم، فاسم (زينب) احتل دلالة كبيرة في النص تمثّلت برفض الظلم وتحديه إبان الحدث التاريخي بواقعة كربلاء عندما وقفت بوجه الاستبداد وممثليه، و هاهي في النص تُستدعى لتعطي أملاً لمن ينتظر عودة محبوب، كما هي صبرت وتحملّت الحزن ، فهذه الشخصية لم توظّف بمحض الصدفة، وإنما وعت الكاتبة بما يجب إضافته للنص، وهي تروي آلام الناس وأوجاعهم في زمن الحرب والحصار، ورأت أن قضية السيدة (زينب) متصلة بقضية أولئك الناس في الحاضر، فانتظار (زينب) عند ذلك النهر حتى يرون طيفها وتسمعهم له علاقة بما حدث مع هذه الشخصية التاريخية، التي كانت تنتظر ومن معها من نساء وأطفال جرعة من ماء الفرات، فالمكان (النهر) يرتبط بما حدث في الماضي والذي يتصل به الحاضر بما يحمله من دلالة انتظار (الأبناء) الذين سلبتهم السلطة والحروب وذهب الناس يرجون السيدة (زينب) بكل شيء ويطلبون غفرانها، لأنهم يحملون لعنة مقتل أخيها الحسين، فهذه (أم حسن) تطلب غفران السيدة زينب عندما سرقت من بستان (أبو رند) في زمن الحصار مستذكرة لحكايتها مع أخي

ها : **((زينب أخت الحسين.. أرتفعت هي تحمل أخيها الجريح.. وراحت تحوم بالهوا فوق رؤوسهم ..جانت رأسها شامخة تنوش الغيوم..بالأول خافوا.. بعدين سجدوا قدامها والريح أدور(...) سمعوا صوت مو واضح ..قال الهم..هذا الحسين الجريح..اطلبوا غفرانه أيها العراقيون ..لأنكم تحملون اللعنة.. وراح تمر السنين محملة بالكوارث والآم والأمراض))** .[٣٨]

تروي (أم حسن) لـ(رند) عن البئر المتصلة مابين إيران والعراق، التي أعتقد الفلاحون أن عمق البئر يأتي من بلادهم الإيرانية حتى رأوا امرأة جليلة تخرج مع تيار الماء وترفع جسد أخيها، ومعه صوت، تدعو العراقيين طلب الغفران منه لخذلانهم له .

وفي رواية (نصف جسد) نلاحظ حضور الشخصيات الدينية من خلال المكان أيضاً تقول الشخصية الساردة :

٣٨) رواية الصمت حين يلهو :١٤- ١٥ .

((أتينا من مدينتين وبنينا حول قبرين.. قبر الشيخ الكيلاني وقبر أبي حنيفة النعمان، وعشنا ببركات الأئمة وصلوات الزائرين في كل مكان (...) كانت الكاظمية أول مكان خطت إليه قدماي خارج زقاقنا الضيق (...) وقفنا أمام الباب الكبيرة، رفعتني أمي إلى صدرها وأمسكت بيدي لتمررها على تلك الباب ... كي نتبارك .. أنبهرت عينان بالجدران المغطاة بآلاف القطع من المرايا الصغيرة التي عكست حزم الضوء المنبعثة من الثريات المدلات من السقف .. يتوسط المكان قفص كبير ، يحيط به قماش أخضر يدور حوله الناس ..هناك من يبكي .. يتضرع .. يُقبّل(...) كان الجميع يدعون ويطلبون بإلحاح وخضوع(...) أدركت حينها أن صاحب المكان له مكانة رفيعة وقوة ليطلب كل هؤلاء الناس منه ما يتمنون ، ربما هو ملك أو أمير، وسيحقق كل ما يطلبون، لكن هل يسمعهم ؟ كنتُ في كل مرة أزور فيها هذا المكان، يزداد فهمي لما يدور، حتى كبرت وفهمت)) .[٣٩]

(نوروز) الشخصية البطل في الرواية وهو يتذكر أيام عشقه لـ(أماني) يعرّج على هذه الشخصية الدينية رابطاً بينها وبين المكان والمدينة اللذين جمعاه بها، فالكاتبة من خلال النص الروائي وتقنياته تستدعي حضور تلك الشخصيات وأماكنها التي تعطي أبعاداً آيديولوجية واسعة، فالنص يحيل إلى عدم وجود فارق بين أبناء البلد الواحد والمدينة الواحدة، وهذا يتصل بموضوع الرواية القائم على أساس التسجيل لقضية التعددية والتفرقة بين أبناء الهوية الواحدة، والرواية بتوظيفها لتلك الأماكن والاسماء تُلغي أي تعدد لأي طائفة كانت، فما يجمعهم هو تلك البقع والأماكن بشخوصها المقدسين، فالرواية تواجه تلك التعددية التي فرضتها السلطة، وفرقت بين أبناء الشعب الواحد في تلك المرحلة الزمنية وهي مرحلة التهجير التي قامت بها السلطة بحجة التبعية لإيران .

إستطاعت الروائية أن تجعل ثقافة المكان فضاءً للنص الروائي، والذي أطلّت من خلاله برؤيتها ، بجعل شخوصه وسيلة للتواصل والتعامل مع الآخرين وفيما بينهم، من خلال تجاوز الفارق فيما بينهم، وهي تعطي لتلك الشخصيات القدسية كما تخيّلت لو أن أحدهم أمير أو ملك بل هم أسمى من ذلك، وبهذا تتجاوز الشخصيات البعد الجغرافي، وتحتل مساحة واسعة وتشكل فضاءً أرحب ، بتوظيفها وسيلة لنبذ هذا التعصب والأخذ بالصلح والتسامح بين أبناء ينتمون لبلد واحد، وفي رواية (سيدات زحل) نجد تكراراً لتلك الشخصيات إذ نجد حضوراً لكل من شخصية (الإمام الكاظم) عليه السلام، و(أسباط الإمام علي بن أبي طالب) عليهم السلام، و(عبد القادر الكيلاني)، و(أبي حنيفة النعمان) وشخصيات صوفية كـ(عبد الجبار النفري) و(الحلاج)، والمنجمين والفلكين وأخرى تابعة للرموز الدينية، أو شهدت عصرها، ومنهم (بشر الحافي) في زمن الأمام (موسى بن جعفر) عليه السلام، وبعض الشخصيات استذكرت من خلال المكان أمثال (الشيخ السهررودي) و(معروف الكرخي والجنيد البغدادي)، وكان استدعاء تلك الرموز الدينية والصوفية عاملاً يخلق تفاعلاً مابين الواقعي والتخيلي، إذ لا يوجد تعارض مابين الواقع والمتخيل، وهذا بحسب مفهوم (آيزر) بأن ((النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخيل، ولذلك فهو يولد تفاعلاً بين المعطى والمتخيل))[٤٠] وهذا ما تطالعنا به الرواية عن طريق تجسيد البعد التخيلي والعوالم السديمية متجاوزة ما هو واقعي لتكراره، ومن ذلك قضية المسخ التي تعمد الكاتبة من خلالها تصوير الحال التي وصل إليها البشر لدرجة التحول إلى أناس ممسوخين، وذلك عندما تنقل حواراً لأحد النحاتين مع شخصية صوفية، مستعيرة للنحات اسم (أمير) :

---

٣٩) رواية نصف جسد : ٢٧-٢٩.

٤٠) التخييلي والخيال من منظور الانطربولوجية الادبية ، فولف غانغ أيزر، ترجمة : حميد الحمداني ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨ :٧.

((ياشيخنا كلنا انمسخنا وتحول بعضنا إلى وحوش لفرط ما شهدنا من جثث وموتى على الطرقات ، بعضنا صار رقماً يبرر الكارثة ، والباقون تحولوا إلى مصدات تخفي قبح واقعنا الأليم، وكلنا ساهمنا في اتساع المقابر حولنا فهل تتوقع أن نعود بشراً سويا ؟؟ النتانة تتعاظم في قلوبنا وقد فسدت أرواحنا بلا جدوى من علاج (...) لاجدوى ياشيخنا من مواعظك،نحن انمسخنا وانتهى الأمر..أجل ماعدت أنتظر شيئاً من حشود الممسوخين)).[٤١]

فالكاتبة أرادت التعبير عن رؤيتها للواقع واستيائها منه، ومن خلال خوضها في أحداث التاريخ _ لاسيما التي أفرزتها الحرب الأخيرة من استبداد وظلم وما سبقها من كوارث، ومن خلال تلك الرؤية استدرجت ذهن المتلقي الى أشياء كثيرة بنسقها الرمزي، فكانت الشخصية رمزاً للفكرة الرئيسة في النص، إذ نلاحظ إن الكاتبة ترسم لبعض الشخصيات في ضمن طابعها الخاص والفردي كما في شخصية الإمام (موسى الكاظم) عليه السلام، عندما يلتقي فيه الناس للتبرك بكرامته، أو تضع الشخصية في ضمن الإطار العام وفي ضوء علاقتها بالآخر كما هو الحال في شخصية (أبي حنيفة النعمان) وما قاساه من ظلم المنصور وجوره .

وفي رواية (كاهنات معبد أور) تجسيد لكرامة الإمام (موسى الكاظم) عليه السلام بشفاء الناس ، فهو الطبيب الذي يشفي ومثال على ذلك القصة التي ترويها الشخصية المحورية عن فتاة تدعى (زكية) عانت الظلم على يد أخيها الأكبر، عندما وجد رسومات في دفتر رسمها لا توحي بشيء سلبي أو مشين، فقررت أن تكون بعيدة عن أنظاره ، ولكنه لم يتوقف عن أذيتها ففي أحدى المرات تشاجرت (زكية) مع أختها الصغيرة فما كان من أخيها ألا أن يرفعها ثم يطرحها أرضاً، وبذلك شُلت (زكية) وقد لجأ بها والدها إلى المنقذ والطبيب (موسى الكاظم) عليه السلام، حيث بقيا في الضريح ليلة واحدة ، وفي الصباح شُفِيت (زكية) وأخذت تتنقل بأقدامها، لأنها ببقائها تلك الليلة في ضريح الإمام رأت بأنها تسبح في ملكوت مقدس ، ولها جناحان تطير بهما وسط الجنة .[٤٢]

٤. الشخصية الثقافية :

يعد النص الروائي من البناءات النصية التي تستدعي الموروث الثقافي من خلال توظيف شخصيات ثقافية بارزة ومهمة على اختلاف خلفياتها الثقافية، ففي الروايات نرى مجموعة من المثقفين منهم الكُتّاب والشعراء ، والرسامون، والموسيقيون ونماذج الروايات التي وظفت الشخصية التاريخية الثقافية هي رواية (الأجنبية) ، فقد وظفّت الشخصيات على اختلاف هوياتها في الرواية، بعّد الرواية تبحث عن قضية الانتماء والهوية، ومن خلال التشتت الذي تعيشه الشخصية ، ظهرت علاقاتها وحواراتها مع تلك الشخصيات، التي أوردتها من التاريخ، وسعت إلى رسم الصورة للنص السردي من خلالها، بشكل يختلف عن الصورة التقليدية التاريخية المتعارف عليها، ومن تلك الشخصيات هي شخصية (دستويفسكي) الكاتب الروسي الشهير :**((ظل دستويفسكي يعتقد أن الجمال ممكن أن ينقذ العالم . جدتي كانت تخاف على أخي من أخطار الجمال فتتصوّر أنه جميل طول اليوم والعام أو بمقدار عقد أو نحوه ، هو في سن المراهقة ووسامته تساوي حمولة خمسة صبيان من الفتية الملعونة فبقيت تنخرط في حالات من الصوم والابتهالات وطقوس دينية لكي لا يفترس جماله أحدٌ، وبالدرجة الأولى نفسه . بالطبع لم تسمع جدتي بذلك الكاتب الروسي العظيم ...)) .**[٤٣]

---

٤١) رواية سيدات زحل : ٢٥٥ .

٤٢) ينظر : رواية كاهنات معبد أور : ١٥٧ .

٤٣) رواية الاجنبية : ٤١ .

يلاحظ أن استدعاء الشخصية في النص متعلق بالموضوع الذي أرادت الكاتبة الإفصاح عنه وهو (الجمال) بالظاهر ، لكن المقصود ليس المعنى الحرفي بحد ذاته ، لتتحدث عن الجمال الذي تراه هي، ليس بوسامة الشكل، وهدفها متمثلٌ بالنقد الساخر والهادف في الوقت نفسه من ممارسات مستشرية في مجتمعها، بتمجيد جمال (الذكور) وإعطائهم أحقية بالتسَلّط على الأنثى، ذلك الجمال الذكوري الذي زرع فيها الخوف ودفعها للقلق لو تحظى ببعض من جمال أخيها :**((ولو لفحة أو فضلة من جماله))** .[٤٤] ومثلما يبدو أن (عالية ممدوح) تدعو للخروج من ذلك الخوف ومن ممارسات الواقع الاجتماعي السيئ الذي يمجّد جمال أخيها متمثل بالجدة في النص الروائي ، ويحيل على المجتمع عامة .

ومن الشخصيات الأخرى في الرواية شخصية (كافكا) الذي تستدعيه لتدل على الفارق بين مجتمعين مختلفين تماماً، فكانت تناقش عيوباً في مجتمعها، بينما المجتمع الآخر يعيش في ظل نظام دقيق يضمن إثباتاً لكيان ووجود أي فرد من أفراده بخلاف مجتمعها هي، فالساردة للنص الروائي ترسم التطور الفكري والحضاري، وبالقدر الذي يكون فيه تطوراً فإنه يؤسس تراتبا ثقافياً وحضارياً بين (النحن والآخر) (هنا ، هناك) ، وذلك من خلال استدعاء الشخصية الثقافية في عملية الترميز للقضية التي أرادت الكاتبة التحدث عنها .[٤٥]

وفي صفحات لاحقة من الرواية تواصل الكاتبة بتصّور الجمال بأنه إحساس الإنسان بوجوده من خلال تحقيق خصائص معينة لذلك الجمال، لا الجمال الذي تجّسده الحواس ، فهذه هي الصورة التقليدية المعروفة عند جميع الناس حتى المثقفون في بعض الأحيان، فالجمال عند (نزار قباني) هذه الشخصية الثقافية التي تخلق الكاتبة حواراً معها ، يرى بأن الجمال هو تناسق الصورة الخارجية للمرأة، وذلك عندما تروي عنه وهو يضحك على صورة لها يدور حولها النص نشرت في مجلة (بيروت المساء)، وكان قد شبهها بأنها أقبح من (بدر شاكر السّياب) فترد الشخصية المحورية بفلسفة عميقة لمفهوم الجمال في (السّياب) كان قد تحدّث عنها (محمود درويش) قال :**((لكن بدر شاكر السيّاب واحد من أجمل شعراء الأرض ...))** .[٤٦] وتستشهد بقول (جان بياجيه) :

((فإنني أشيد بالمشبوهين والممسوخين منهم أنبل المجرمين الذين يعبدهم ضعفي)) .[٤٧]

إنَّ هذه الحصيلة الثقافية التي امتلكتها الكاتبة حول مفهوم الجمال في النص حققّت أمرين : الأول : هو رفد الرواية بقيمة فنية وجمالية من خلال استدعاء الكتاب والمفكرين والأدباء من الغرب أو من العرب، والثاني : هو تعزيز الفكرة حول مفهوم الجمال الحقيقي ، وقد قادتها تلك الفكرة إلى الإلمام بما يوثقها فاستحضرت تلك الشخصيات، ولم تكن شخصياتها مقتصرة على ما سبق من أسماء، بل استذكرت شخصيات مقربة إليها منهم أصدقائها (بلقيس الراوي، ونهلة الشهّال)، ومن أصدقائها من الكتاب والروائيات المقاربات لجيلها، الروائية العراقية المغتربة في باريس (إنعام كجه جي)، وأيضاً تستذكر الرواية للشعراء (محمود درويش وبدر شاكر السّياب)، وبالإضافة لهذه الشخصيات توظف أسماء مجموعة من الباحثين منهم : (ديزموند موريس) الباحث البريطاني، الذي بحث التطورات العضوية لدى الإنسان في كتابه (القرد العاري) هذا الكتاب الذي يضع فيه كل صغيرة وكبيرة عن أصل الإنسان، وتتذكر هذا عندما تواجه صعوبة في استخراج

---

٤٤) ينظر م. ن : ٤٢ .

٤٥) ينظر : م . ن : ٥٦ .

٤٦) رواية الأجنبية : ٤٥ .

٤٧) ينظر : م.ن: ٤٤ .

جواز سفر لها، وهي تبرر عن طريق استذكار كتاب (القرد العاري) بأنه لا حاجة إلى ذلك الجواز، التي أرهقوها من أجله، لا سيما وقد وضع (ديزموند) كل شيء عن أصل الإنسان .[٤٨]

ومن الروايات التي تناولت شخصيات ثقافية هي رواية (منازل الوحشة) مستدعية تلك الشخصيات في ضوء تناولها لقضية الاحتلال وما بعده، باحثة عن إجابة لتناقضات هذا المجتمع الغارق بهمومه، الناتجة عن التحولات السياسية والاجتماعية، ومن هذه الشخصيات شخصية (دستويفسكي) الذي تستدعيه الكاتبة لترصد حال أحد أبطال الرواية (سلوان) الذي تجعل منه يتماثل في بعض الصفات مع بطل (دستويفسكي) في رواية (الجريمة والعقاب) الشاب الجامعي (راسكولنكوف)، وإن اختلفت التصرفات وردود الأفعال ، فإن المحرك لكلا الشخصيتين يقترب من بعضه الآخر، إلا أن ما تقدمه الكاتبة في النص الروائي يدور حول شخصية من شخصيات رواية (الجريمة والعقاب) (سونيا) الفتاة الطّيبة التي يدفعها الفقر للانخراط في طرق مشينة من أجل أن تعين والدها الكبير في السن مع أخوتها الصغار، ففي احد المواضيع تستحضر الشخصية الروائية (سلوان) شخصية (سونيا) يقول :

((إنها سونيا التي تحبني وتؤمن بي إنها سونيا التي ترفض أن يلوثها العالم الذي يحوطنا بوساخته وتحثني في الوقت عينه على إلقاء نفسي فيه . لماذا اختار (دوستويفسكي) الاسم هذا عشرات بل آلاف الأسماء ومن بينها سونيا ! يستوقفني رنين الأسماء أم ظلالها ؟ تعلم سونيا القديسة أن العالم في الخارج وحشي ، أنهم يدرّبون الذكور على الافتراس يدربونها هي على أن تلعب دور الفريسة المثالية . إننا جميعاً متهمون وهي ربما ستعلق جثة عند باب بيتها كدرس في الشرف)) .[٤٩]

يتحدث (سلوان) عن والدته مستذكرا بطلة رواية (الجريمة والعقاب) (سونيا) ، التي يصفها بالقديسة ، لأنها مثال للصبر على ظروف الواقع القاهرة وظلمه الاجتماعي ، والرواية من خلال شخصية (سلوان) أرادت نقد الواقع من خلال استدعاء ذلك الموروث الثقافي ومبادئه متمثل بـ (دوستويفسكي) ونظرته للفكر الليبرالي ، ناقدة من خلاله مجتمعها بشدة من خلال استدعاء أدبه، ومن الشخصيات الأخرى التي استحضرت في الرواية منهم الشعراء كـ (المتنبي، و بلند الحيدري، و سعدي يوسف، و امرؤ القيس) ومنهم الكتّاب مع نتاجاتهم الكتابية (غائب طعمه فرحان) صاحب رواية (النخلة والجيران) وأيضاً تستذكر تاريخ وفاة (فؤاد التكرلي) عام ٢٠٠٨م، ووفاة الشاعر محمود درويش مع قصيدته (عاشقة فلسطين) ، وقصيدة السيّاب (مرحى لغيلان) وتأخذ جزءاً منها :

((بابا بابا ينساب صوتك في الظلام إليَّ كالمطر الغضير)) .[٥٠]

يلاحظ من خلال هذا محاكاة النص الروائي لنصوص سابقة له باعتماد تقنية التضمين أو التناص ، أي بنية نصية سابقة تدخل في النص الجديد ، وتستدعي الرواية أيضاً بعض أعمال الكتاب الروس والعالميين منها رواية (ذكريات من بيت الموتى لدستويفسكي) ، ورواية (أنا كارنينا لتولستوي)، ورواية الأسباني (دن كيخونه للكاتب سابيدار) ، ورواية (أصوات) لغائب طعمة فرمان ، (الرجع البعيد) لفؤاد التكرلي وروايات (سهيل إدريس) و عبد الرحمن منيف، والنحّات (مايكل انجلو) واستدعاء مؤلفات لموسيقيين مشهورين وتجسّد ذلك بالقول :

٤٨) ينظر : م . ن : ٤٤ – ٤٥ ،٩٤ .

٤٩) رواية منازل الوحشة : ١٦٥ .

٥٠) رواية م.ن : ٦٥ .

((فالتاريخ هنا يرجع إلى الوراء ...)) .[٥١]

وتفرد الكاتبة حديث (سلوان) مع الشخصية (هاملت) بطل مسرحية (شكسبير) بإضفاء بعدٍ متخيلٍ ، حيث كان (سلوان) جالساً في الحديقة يتحاور مع (هاملت) يقول :

((كنتُ في الحديقة مع هاملت عندما زارنا مرة . جلس إلى جانبي أرضاً على دكة (الطاولة) عند ممر الحديقة . كانت الشمس منتصف الظهر قد جعلت من الشتاء ربيعاً . تسلسل بالحديث واكتفيتُ بالإنصات . ولكنه ذكر لي نعتاً دارجاً لم أتصور نفسي أشارك مناقشته في يوم من الأيام (...) (مخنّث)! كان يضحك وهو يسرد لي تفاصيل قصته ... أنا أشك في صدق من هم أمامي ، وبينما هم منصرفون في حديثهم أروح منهمكاً في البحث عن صورهم الحقيقية)).[٥٢]

تستحضر الشخصيات في الرواية على أنها مجموعة حاملة لثقافات مختلفة في مدد زمنية سابقة ساهمت في خلق النص الروائي، والرواية قامت على استيعاب تخصصّات تلك الشخصيات وثقافاتها وعملت على دمجها في ضمن البيئة النصية ، وبذلك أضافت للنص قيمة فنية تخييلية، فالنص منفتح على ما قبله لا يقيّده الزمان ولا المكان بل يستبدل بهما عنصر التخييل ، عندما يجعل الشخصية تتحاور مع (هاملت) بوجود المتخيل ، ليعّبر عن الواقع السيئ، ويشاركه غيره محنته النفسية عن طريق الانتقال إلى أفاق خيال واسع ونقي يفصح فيه كما يعتري ذاته أكثر من الواقع الحقيقي، وبهذا التوظيف فان النص لا يحيل إلى تحقيق ما تصبو إليه الذات فقط ، وإنما إلى الآخر الغائب والحاضر في الوقت نفسه، مما يفرض وجود رؤية تحتمل قراءات عِدة عن طريق المتلقي فـ (هاملت) يشارك (سلوان) مالم يستطع مناقشته مع أي شخص أخر .

أما في رواية (تحت سماء كوبنهاغن) فنجد استدعاء لشخصيات ثقافية منهم الرسامان العالميان (بيكاسو) الاسباني صاحب اللوحات التشكيلية ، و (مونيه) الفرنسي صاحب اللوحات ذات المنظر الطبيعي، وهذا يتحقق من خلال شخصية (هدى) الشخصية الرئيسة في الرواية التي تستحضر الشخصيتين وهي في القطار الذي تستّقله مع مشاهد المناظر من خلال نوافذه ، فتبدو المشاهد والمناظر كأنها تكعيبية الشكل تشبه لوحات (بيكاسو) التي لا تحبها وتصفها بحالة (كلوستورفوبية) من خلال زواياها الحادة ، وتنعته بالمجنون، لأنه رسم حبيبته مصابة بالحول وهي تقّبله ، فـ (هدى) تشكّك في رؤيته الإبداعية كحدود اللوحة وزواياها، وهذا يعني حبَّه أيضاً، أما (مونيه) فهو المفضل عندها ، لأن لوحاته وألوانه تشبه حياتها بتعدد ألوانها وأشكالها .[٥٣]

وتستذكر الشخصية الروائية أيضاً للكاتب الشهير (هانس كرستيان أندرسن) صاحب قصص الأطفال ، ويتحقق هذا في النص من خلال تحاورها مع أفكار (أندرسن) الذي يحول في قصصه الأشياء من وضع إلى آخر ، ومن كائن إلى أخر من خلال الخيال ، وقد استحدث خوض حكاياته منه، التي يسردها للأطفال متخذاً من ذلك التحول طريقاً يوصله إلى ما يريد تحقيقه ورغبته في تغيير واقع مجتمعه في القرن التاسع عشر، فيحوّل في القصص كل ما هو قبيح إلى شيء جميل، كأن يحول البطة القبيحة إلى بجعة فائقة الجمال، ليجمع تلك التحوّلات في هدف نبيل يُسعِد من حوله ، لكن خيال (أندرسن) ذاك لم يعطِ لبطلة الرواية (هدى) وسيلة للتحوّل والانخراط في مجتمعه الدنماركي، الذي يؤسس فارقاً طبقياً بين

٥١) م . ن : ١٦٨ – ١٦٩ – ١٧٠ .

٥٢) رواية منازل الوحشة : ١٧٢ .

٥٣) ينظر : رواية تحت سماء كوبنهاغن : ١٤٨ .

البشر ، حيث ينظر الدنماركيون إلى من سواهم نظرة دونية، فالساردة استدعت تلك الشخصية لتكون دعامة لتفعيل الفكرة وتجسيد المعاناة التي يعيشها المغتربون لدرجة أن (هدى) تفكر بوسيلة خيالية من وسائل (أندرسن) للتأقلم مع ذلك المجتمع [٥٤] تقول :

((**لمَ لمْ يجمع خيال أندرسن هل أن يتدنمرك العالم؟**)) .[٥٥] هذا هو الحل الوحيد الذي يساعد (هدى) على التكيف مع ذلك الواقع ، فاستدعت شخصية عارفة بطبائع مجتمعها، علّه بتلك الطريقة يقنع المجتمع الذي ينتمي إليه .

وفي رواية (كاهنات معبد أور) تستدعي الكاتبة مجموعة من الشخصيات المثقفة، دليل على ثقافتها بالأدب العالمي ولاسيما الرواية ،[٥٦]وفي رواية (هروب الموناليزا) استدعاء لشخصيات ثقافية مهمة في ضوء معالجة الرواية لقضية الهوية، متمثلة باغتراب الشخصية المحورية الثانية التي تقوم عليها الرواية، وهي شخصية (سومر)، التي من خلال بوحها تستذكر شخصيات كل لها صداها الكبير ، منهم الشعراء والكتاب والموسيقيون والمفكرون (ابن حزم، و الشافعي ، و جبران خليل جبران، و مي زيادة، و بيتهوفن) ، وكذلك هناك تضمين لمقولات وأمثال إنكليزية ويونانية، والرواية تستدعي تلك الأقوال والشخصيات، لتدخل على الآخر سواء أكان الآخر الحبيب أم الأوربي، ومنه استدعاء لأبيات شعرية كقول الشافعي :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنتُ اليوم أشعر من لبيد . [٥٧]

وتستدعي مقولة (لأبن حزم) :

((**إن محبة العشق الصحيح لا فناء لها إلا بالموت**)) .[٥٨] وقصة حب (مي زيادة) لـ (جبران) من خلال الرسائل التي كانت تدور بينهما ، واستدعاء لأقوال (غوته) ، ولموسيقيين وسيمفونيات وألحان، وأقوال لـ (هنري برجسون) الانكليزي، و(سارتر) الذي تستدعي مقولته فيما يخص اغترابها ومعاناتها مع الآخر /الغربي .

((**الآخر هو وسيط بيني وبين نفسي ، وهو مفتاح لفهم ذاتي والإحساس بوجودي**)).[٥٩] هذه المقولة ردّدتها (سومر) عندما رأت أوربا أول مرة ، حيثما يجتمع الجميع بألوانهم المختلفة لجوءاً وهرباً من ذئاب كانت تطاردهم ومنها : الجوع، و الفقر، و المرض، والجفاف، والبعض من هذه الذئاب هم البشر أنفسهم الذين يبحثون عن فريسة ، والثانية هي حال (سومر) التي هربت من ذئاب تنهش بوطنها، والكاتبة بهذا المفهوم الذي تعطيه تستذكر ما آل إليه الوضع في اليوم والأمس من مطاردة البشر بعضهم البعض الآخر، وهم يلاحقون جشعهم ، فالعدو من قبل أرحم منهم ، وهذه ارسال لإشارة واضحة من الكاتبة للمتلقي، لتدل على التطور الحضاري الذي أدى بالبشر للتطور حتى في العنصرية المقيتة، ويرون فيه

---

٥٤) ينظر :رواية تحت سماء كوبنهاغن : ٢٠٢ .

٥٥) ينظر : م . ن : ص . ن .

٥٦) ينظر : رواية كاهنات معبد أور : ١٢ – ١٣ ، ٢٨ .

٥٧) رواية هروب الموناليزا : ٨٩ .

٥٨) م. ن : ٤٤ .

٥٩) م . ن : ٥٤ .

ثقافة بحسب ما يدّعون، بل هو العكس ،[٦٠] وفيما يتعلق بمعاناتها مع الآخر (الزوج) تسعف نفسها بمقولات إنكليزية تعطيها الحق فيما هي عليه من حزن .[٦١]

ثانياً : الشخصية المتخّيلة :

تتمثل هذه الشخصية في رواية واحدة هي (سيدات زحل) من خلال استعارة شخصية تاريخية متخّيلة، الشخصية العارفة المختفية، كانت وسيلة للروائية للجمع بين أحداث الماضي والحاضر وتحويلها من الزمن الماضي إلى الواقع، ومن تلك الآليات التي اتبعتها الروائية لنقل الحوادث والنصوص التاريخية على لسان (الشيخ قيدار) من خلال قراءة (حياة البابلي) لكراسّاته، التي يستعيد فيها أسماء بارزة في تاريخ العراق القديم والحديث ، هي العجائبية .

جعلت الكاتبة من شخصية (قيدار) المشاركة في الرواية بمثابة الشاهد على الأحداث التاريخية التي يصعب معرفتها لولاه ، وهذا بطبيعته يفرض صعوبة الزمن الذي تنتمي إليه الشخصية المتخّيلة، فهي تمثل الماضي، وهي الحاضر، من خلال رؤيته وتفسيره للوقائع، وقد جاءت الكاتبة بتلك الشخصية ، لإقناع القارئ بالنص الروائي حيث أُدخِلت تلك الشخصية في ضمن الإطار التاريخي، الذي استدعى فيه الشخصيات والأحداث، لتشاركه الرؤية وتعمّق الدلالة المرجوة فقد كانت هذه الشخصية شاهدة على جميع الأراء ووجهات النظر، وكذلك الأفكار والحوارات الداخلية للشخصيات، و جعلت من هذه الشخصية مرتبطة بالنص بحسب السياق الذي تريده والقضية التي تنطلق نحوها، فهذه الشخصية المعرفية تكشف أسرار التاريخ المغيّب من خلال مظاهر تاريخية مختلفة، فيما يتعلق بقيم وتحولاّت كل عصر، وقد أدخلت هذه الشخصية في الرواية عن طريق أجواء صوفية قلقة بما ينسجم مع الطابع العام الذي طبعت به بوصفها شخصية عجائبية وغير مستقرة ، يكشف من خلالها عن الآيديولوجيا التي تحكم الوجود والعالم ، ومحنة الإنسان واغترابه عن واقعه الذي يعيش فيه ، وكان هذا من خلال عنصر التخييل، فالتاريخ الذي استحضرته الرواية عن طريق الشخصية، والأجواء الخيالية التي ربطتها بها، تشّكل بعداً آخر يتعلق بـ (المنقذ) لهذا العالم، لتكوّن الرواية بهذا الطرح فكرة دينية ، وهي فكرة الشخص المنتظر والمخلص ، وبهذا يأخذ السرد طريقه نحو الاستيعاب والفهم لما وراء النص من تلميحات توحي بمقصديه المتخيل السردي، بأن الأمل مازال قائماً بظهور المخلص من القهر والظلم، ومن ذلك الوصية التي تركها (قيدار) لأبنة أخيه :

((أنا حاضر بينكم ومستعصم ببابه فإن غبتُ فإلي عودة متى انحسر الجنون عن بغداد وإذا عدتُ فالمأوى تعرفونه، وتســـتدّلون على وســـطانيته بما أهوى وكل يعمل على
شاكلته والسلام لهذي البلاد مني حياً وميتاً)) .[٦٢]

إن الكلمات (حاض، غائب، حياً، ميتاً) لها مقصدية واضحة تظهر من خلال تأويل الكلام، وتتجلى بفكرة عودة المخلَّص من جديد، ولعل التركيز على اللغة الصوفية كان واضحاً، وهو يعود إلى ثقافة الكاتبة التي أرادت طبع الرواية بطابع صوفي، تسهم في جعل لغة الرواية لغة رمزية تبتعد عن المقصود المباشر وتجنح نحو الخيالي والمدهش .

وفي نهاية هذا المبحث نقول إن الشخصيات التاريخية ثمة تساؤل يُطرح من خلالها في معظم النصوص الروائية التي مّرت، إذ إن الشخصيات الروائية أرادت تحصيل إجابة، فعبّرت بالشخصية التاريخية عمّا أرادته، والجواب كان المعوّل

٦٠) رواية هروب الموناليزا: ٤٥ – ٤٦ .

٦١) ينظر : م . ن : ٩٥ .

٦٢) رواية سيدات زحل : ٢٣٨ .

عليه فيها، وهذا نوع من التعويض الروائي من كون الشخصيات داخل الرواية غير كافية للتعبير عمّا تريده الكاتبات، فضلاً عن كون استحضار تلك الشخصيات التاريخية يُحقّق جوانب فنية ضرورية لبناء الرواية

النتـــائج :

بحثت هذه الدراسة في نماذج روائية استوعبت جوانب تاريخية عِدة ، بعّدها تمثل فضاءً نصياً ، يستند على التاريخ بجعله مرجعية متفاعلة ومستوعبة تحيل عليه ، وتعكس صورة الواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي باعتبار أن الرواية تنطلق من الواقع لرسم وبناء أحداثها ، عاكسة للتحولات والتغيرات التي أصابت المجتمع ، و معبرة عن واقع مأساوي مرير ، سيطرت عليه ثيمة العنف بوصفها ثيمة آيديولوجية استطاعت أن تحتل مساحة واسعة في الكتابة الروائية بما تحمله من آثار الخراب والقهر ، من خلال تقنيات وطرائق مختلفة في استحضار المرجع التاريخي في الروايات ، منها ما اعتمدت في سرد الأحداث على راوٍ مجهول ، غير مشارك في عملية السرد ، ومنها ما كان بوساطة الشخصيات ، أو بوساطة راوٍ خارجي ، وذلك لتنوع زوايا النظر ، و من خلال الحوار بأشكاله المختلفة أيضاً، فكان نتاج ذلك استيعاب التاريخ في الرواية النسائية ، ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

- طرحت الكاتبة هموم الوطن السياسية والاجتماعية ، فامتلأت رواياتها بتاريخه ، مستوحية منه أحداثاً ماضية وأخرى حاضرة ، متناولة المواضيع الأكثر طرحاً بصورة عامة ، فكتبت عن الحروب ومآسيها والثورات وصوّرت مراحل التمرد والاستبداد وفساد الأنظمة الحاكمة .

- وظفّت الروايات شخصيات تاريخية سياسية واجتماعية وثقافية واقعية ، من أبطالٍ ثوريين ، وحكامٍ مستبدين، استدعى ذلك وجود شخصيات تاريخية شعبية أو صوفية داخل البنية السردية ،منحتها أدواراً في مسار الحبكة الروائية كرمز للوطن .

- تحيل الشخصيات المتخيّلة في معظم الروايات على الشخصيات التاريخية ؛ لا سيما أن بعض الروايات تأتي بكل من الشخصيتين لتؤديان دوراً متبادلاً ، والتي تقدمها لإضفاء سمة الواقعية التاريخية على الرواية ؛ خاصة الشخصيات المرتبطة بمرجعية زمنية تاريخية ، بالأضافة للأحداث المتخيلة ، التي تحيل على الحدث الواقعي .

- تنوّعت القضايا الاجتماعية التاريخية في الروايات وكان معظمها من التاريخ الراهن ، وتأتي بعد ذلك أرتدادات للوراء تستدعي الرواية بوساطتها بعض القضايا التي تتلائم مع المدد الزمنية التي دونّت لها.

المصادر:

- أركان القصة ، فورستر ، ترجمة : كمال عياد جاد ، مراجعة : حسن محمود ، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٠م .
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٩٧م.
- البناء الفني في الرواية العـربية في العراق ، شـجاع مسـلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، د . ط ، ١٩٩٤م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى بن محمد الحسيني الزبيدي ، أعتنى به ووضح حواشيه : عبد المنعم خليل ابراهيم ، وكريم سيد محمد محمود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- التخييلي والخيال من منظور الانطربولوجية الادبية ، فولف غانغ أيزر، ترجمة : حميد الحمداني ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٩٨.
- تهذيب اللغة ، ابو منصور محمد بن احمد الأزهري ، حققه وقّدم له : عبد السلام هارون ، مراجعة : محمد علي النجار ، مصر الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- رواية الاجنبية ، عالية ممدوح ، دار الأدب للنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م .
- رواية الصمت حين يلهو ، خوله الرومي ، المدى للثقافة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- الرواية العربية – البناء والرؤيـا – مقاربات نقدية ، سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د . ط ، ٢٠٠٣م.
- رواية تحت سماء كوبنهاغن ، حوراء النّداوي ، دار الساقي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- رواية سيدات زحل ، لطفية الدليمي، دار فضاءات للنشر والتوزيع،عمان ، ط٢٠١٣,٢م .

- رواية كاهنات معبد اور، رسمية محيسن ، الروسم للصحافة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٥م .
- رواية منازل الوحشة ، دنى غالي ، دار النذير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م .
- رواية نصف جسد ، أزهار رحيم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠١٤م .
- رواية هروب الموناليزا، بوح قيثارة ، بلقيس حميد حسن ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٤م.
- الزمان والوجود والسرد – فلسفة بول ريكور ، ترجمة وتقديم : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- الزمن والرواية ، مندولا ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : إحسان عباس ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- فن الشعر ، ارسطو طاليس ، ترجمه وحقق نصوصه ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٥٣م .
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٣م .
- لسان العرب ، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ، حققه وعلق عليه : عامر أحمد حيدر ، مراجعة : عبد المنعم خليل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .
- معجم المصطلحات الأدبية ، ابراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحررين ، صفاقس ، د . ط ، ١٩٨٦م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة ، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م.
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، عربي – انكليزي – فرنسي ، لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- من النص إلى الفعل – أبحاث التأويل ، بول ريكور ، ترجمة : محمد برادة ، وحسان بورقية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- المورد الحديث ، قاموس أنكليزي – عربي ، منير البعلبكي ، ورمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٨م.
- موسوعة المصطلح النقدي ، إليزابث دبل ، ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣م .
- الهوية والسرد – دراسات في النظرية والنقد الثقافي ، نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .